أخلاقيات البيئة في الفكر الإسلامي المعاصر

Environmental ethics in contemporary Islamic thought

صالح بن لفقي*

جامعة مولود معمري، تيزي وزو-الجزائر s.benlefki@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021-10-23	2022-01-23	2022-06-01

ملخّص: يتناول هذا المقال أخلاقيات البيئة في الفكر الإسلامي المعاصر، من خلال الدراسات التي قدمها الفكر الإسلامي لمعالجة المشكلة البيئية.

والهدف المرجو تحقيقه من خلال هذا البحث ليس تكرار ما كُتب في إطار هذا الفكر من معالجات جزئية، وإنما استخلاص المبادئ والقواعد العامة التي يقدمها كضوابط للسلوك البشري عند تعامله مع مكونات الطبيعة المختلفة.

وذلك بالإجابة على السؤال الآتي: ما هي طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإنسان والطبيعة من خلال الفكر الإسلامي المعاصر؟

ولا شك أن الإنسانية بحاجة إلى سماع ما تقدمه الثقافات المختلفة -غير الثقافة الغربية السائدة- من أفكار ومعايير أخلاقية، علَّها تساهم في حل المشاكل الإنسانية.

كلمات مفتاحيّة: أخلاقيات البيئة؛ الفكر الإسلامي؛ علاقة الإنسان بالبيئة.

Abstract: This article deals with environmental ethics in contemporary Islamic thought, through the studies presented by Islamic thought to address the environmental problem.

The desired goal to be achieved through this research is not to repeat what was written in the framework of this thought of partial treatments, but rather to extract the general principles and rules that it presents as controls for human behavior when dealing with the various components of nature.

By answering the following question: What is the nature of the relationship that should be between man and nature through contemporary Islamic thought?

* المؤلف المرسل

There is no doubt that humanity needs to hear what different cultures - other than the prevailing Western culture - offer of ideas and moral standards, perhaps contributing to solving human problems.

Keywords: environmental ethics; Islamic thought; man's relationship with the environment.

1-المقدمة: تعتبر مشكلة البيئة واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه الإنسان المعاصر، ولا أدل على ذلك من الآثار المترتبة عنها، والتي لمسناها في العقود الأخيرة من ارتفاع درجات الحرارة، والجفاف، وحرائق الغابات، والتصحر، والفيضانات، وارتفاع منسوب مياه المحيطات مما يهدد مدنا ساحلية عامرة بالزوال كمدينة لاغوس النيجرية التي تضم أربعة وعشرين مليون نسمة ...

ولقد أثارت هذه المشكلة اهتمام الفكر الإنساني، وهو ما يتجلى في الكم الهائل من الدراسات والمقالات والمؤتمرات والكتب التي أُنجِزت بغرض البحث عن أفضل السبل للحفاظ على صلاحية البيئة الطبيعية موطنا للنوع الإنساني ولغيره من الكائنات.

وتُدرج ثمرات العقل الإنساني المتعلقة بمعالجة المشكلة البيئية تحت مصطلح "أخلاقيات البيئة"، مما يعني أن المشكلة في أساسها هي مشكلة سلوك ناجم عن رؤية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة تتطلب تأملا ومراجعة.

ولما كانت مشكلة البيئة عالمية تمس الكوكب الأرضي برمته، وتهدد الوجود الإنساني، فقد انبرى الفكر الإسلامي لمعالجة هذه القضية انطلاقا من المرجعية الثقافية الإسلامية التي لم تغفل بيان ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني اتجاه مكونات الطبيعة المتنوعة.

وعلى هذا الأساس تبحث هذه المقالة في "**أخلاقيات البيئة في الفكر الإسلامي المعاصر**"، بغرض الكشف عن المبادئ الأخلاقية التي ينطلق منها الفكر الإسلامي لتقرير ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني اتجاه العناصر التي تشارك الإنسان

محضنه الطبيعي الذي يعيش فيه، وتحدد مكانة الإنسان والطبيعة في الوجود، وذلك من خلال الإجابة على السؤال الآتي:

ما هي طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الإنسان والطبيعة من خلال الفكر الإسلامي المعاصر؟

ولما كان الإسلام يقدم تصورا متكاملا لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فإن الواجب يقتضي بيان هذا التصور بأسلوب يتسم بالعقلانية، عَلّهُ يَحُل، أو على الأقل يساهم في تقديم حلول لمشكلات البيئة.

ولا شك أن الإنسانية –أمام ما تواجهه من أخطار والتي على رأسها مشكلة البيئة في حاجة إلى الاستماع لآراء الثقافات غير الغربية، والتحاور معها للوصول إلى أفضل السبل للخروج من الأزمة البيئية الحالية، وتوجيه السلوك الإنساني نحو ما يتناسب والمحافظة على البيئة.

ولتحقيق ما سُطّر من أهداف اعتمدت لقراءة خطاب الفكر الإسلامي المعاصر المنهج التحليلي بغرض استخلاص المبادئ الأخلاقية التي تؤسس لهذا الخطاب، وتوجهه لتقديم معالجات متميزة.

2- تحديد المفاهيم:

1) مفهوم أخلاقيات البيئة: كلمة أخلاقيات البيئة مركبة من لفظين، ولذلك يتطلب تعريفها تعريف كل لفظ على حده:

– **تعريف الأخلاقيات:** يعرف خالد أحمد مصطفى حجر مصطلح الأخلاقيات فيقول بأنه: "يشير إلى ما يعتنقه الأفراد من مبادئ تحدد مكونات السلوك الصحيح اتجاه أمور معينة كالمهن، والتعاملات المختلفة، وهي تمثل الأهداف المطمحية التي يتطلع إليها الناس، والتي ترسم الحد الأقصى المثالي للمستويات المطلوبة في السلوك"[1].

ويعرفه طه عبد الرحمان بأنه: "مبدأ طلب الصلاح"[2].

ويبدو من التعريفين الأمور الآتية:

الأمر الأول: يُستخدم مصطلح "الأخلاقيات" للدلالة على مجمل المعايير والقواعد الأخلاقية الضابطة للسلوك الإنساني، والموجهة له نحو ما يحقق المثل الأعلى[3] الذي يصبو الإنسان الوصول إليه.

الأمر الثاني: أن المعايير الأخلاقية تقوم على رؤية كونية معينة للإنسان والكرامة الإنسانية، وعلاقة الإنسان بالطبيعة، وعلى أساس هذه الرؤية يُعالج ما يطرأ من تعارض بين القيم المختلفة؛ فمفهوم "الصلاح" الوارد في التعريف الثاني، أو "الحد الأقصى المثالي للمستويات المطلوبة في السلوك" الوارد في التعريف الأول يقتضي تصورا معينا للإنسان، ولما ينبغي أن تكون عليه علاقته بعناصر الطبيعة.

الأمر الثالث: لما كان مفهوم الصلاح يختلف من ثقافة إلى أخرى، تتوسل الأخلاقيات بالإقناع لتكون قابلة للتطبيق، ولذلك يلجأ الأخلاقي إلى تبرير موقفه بالأدلة والبراهين.

وعلى هذا الأساس تتشكل الأخلاقيات من ثلاث عناصر:

أ-الأساس العقدي:(أو الرؤية الكونية world view بالاصطلاح الفلسفي) وتعني النظرة الشاملة إلى العالم، أي التصور السائد في مجتمع ما عن الله تعالى والإنسان والكون والحياة والعلاقات بينها، والذي على أساسه تتحدد التوجهات العامة للأفراد فكريا وسلوكيا، وهي في إطارها الإسلامي تعبير عن التصور العقدي الكلي الذي تقدمه العقيدة الإسلامية[4].

ب-الموقف الأخلاقي: ويعني تحديد ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان وعلاقاته، ويرتبط هذا التحديد بالأهداف النهائية المرجو تحقيقها بهذه السلوكات.

ج-قواعد السلوك، أي الضوابط المنظمة للسلوك الإنساني، والتي تبين ما يجوز وما لا يجوز من الممكن فعله.

2) البيئــة: تُعرف البيئة بتعريفات مختلفة، منها:

-التعريف الوارد في إعلان مؤتمر البيئة الذي عقد في استكهولم عام 1972، والذي نص على أن البيئة هي: "كل شيء يحيط بالإنسان"[5].

-ويعرفها عبد المجيد النجار بأنها: "المحضن الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان، والذي عليه أن ينجز فيه مهمة الخلافة في الأرض، متمثلا في كل ماله علاقة بالحياة الإنسانية من أرض وما عليها من حيوان ونبات وجماد، وما يحيط به من غلاف جوي، ومن سماء وما فيها من كواكب وأجرام يتبين أن لها علاقة بالحياة تأثيرا فيها"[6].

وهذا التعريف يعكس ما يتميز به الفكر الإسلامي، إذ أنه يميز بين الأشياء من خلال النظر في وظيفتها (الغاية من خلقها)، ولذلك يقرن بين ذكر العناصر البيئية ووظيفتها؛ الإنسان الذي وظيفته الخلافة في الأرض، والعناصر المادية من أرض وحيوان وسماء...وعلاقتها بهذه الوظيفة التي كُلف بها الإنسان[7].

-ويعرفها عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي في كتابه: البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، بأنها" تدل على جميع الأشياء أو العوامل المنظورة وغير المنظورة، التي تحيط بالكائنات الحية في هذا العالم"[8].

وهذا التعريف الثالث يضيف تأثير العوامل غير المنظورة، والتي يقصد بها العنصر المعنوي المتمثل في القيم التي تتحكم في النفس البشرية والتي توجهها نحو الخير أو الشر، وبذلك فالنظرة الإسلامية لا تفصل بين التغيرات البيئية والإنسان.

وتتناسب هذا المعاني الاصطلاحية مع المعنى اللغوي، فلفظ البيئة مشتق من (بوأ): تقول: تبوأ منزلا نزله، وبوأ له منزلا وبوأه منزلا هيأه ومكن له فيه، والباءة: المنزل، واستخدم القرآن الكريم (بوأ) بمعنى: أنزل، يقول الله تعالى" وبوأكم في الأرض" (سورة الأعراف، الآية: 74) أي أنزلكم[9].

ويتوافق هذا المعنى في اللغة العربية مع المعنى اللغوي لكلمة (OIKOS)، والذي اشتقت منه كلمة الايكولوجيا (علم البيئة) والذي يعني "منزل الأسرة"، والذي نقل دلالته إلى كوكب الأرض باعتباره منزلنا نحن البشر[10].

وعلم البيئة: هو العلم الذي يبحث أو يدرس العلاقة أو التفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحية المختلفة، ومع المحيط الخارجي الذي نعيش فيه[11].

أما النظام البيئي: فهو تفاعل مجموعة الجماعات الحية التي تعيش في منطقة بيئية محددة مع بعضها البعض، ومع العوامل الغير الحية، فالبيئة هي المكان التي تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي أو مجموعة من الكائنات الحية[12].

وبناء على ما سبق، يراد بمصطلح أخلاقيات البيئة: المعايير الأخلاقية والأحكام التي توجه الفرد والمجتمع نحو ما ينبغي أن يُلتزم به من أخلاق في مجال التعامل مع مكونات الطبيعة المختلفة، بغرض حماية الوجود الإنساني، ومحافظة على سلامة وصلاحية البيئة للحياة.

2) الفكر الإسلامي: مصطلح حديث، يطلق على ما أنتجه المسلمون من أفكار وأحكام متوافقة مع مبادئ الإسلام، وهذا ما يتجلى من التعريفات الآتية:

يعرفه **محمد أحمد عبد القادر** بأنه "الفكر الذي يتخذ من الإسلام قاعدة ينطلق من خلالها اعتقادا واجتهادا في فهم قضايا الحياة الدنيا والحياة الآخرة"[13].

-ويذهب **حسن الترابي** إلى نفس المعنى عندما يقول: "الفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة"[14].

ومن هذه التعريفات، يمكن أن نحدد خصائص الفكر الإسلامي كالآتي:

-ينطلق عقل المسلم من الرؤية الكونية التي حددها الوحي، ويتعامل مع القضايا المختلفة وفق ما تحدده هذه الرؤية.

-يتفاعل عقل المسلم مع الوحي باستمداد قيمه وتوجيهاته، ومع الواقع بحثا عن الحلول، وعملا على جعله متوافقا مع قيم الوحي.

-ويتكيف بنوع وكمية المعارف المكتسبة، ويتأثر بالظروف الراهنة التي تحيط به، وبالحاجات التي يحسها الناس[15]، وبذلك فهو فكر متطور يأخذ المعطيات العلمية المستجدة، والحاجات الإنسانية المتجددة بعين الاعتبار، في إطار القيم القرآنية التي تتصف بالثبات والأزلية والخلود.

3- **المشكلات البيئية:** ظهرت في العقود الأخيرة مشكلات بيئية، يلمس الناس آثارها في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، وتتمثل هذه المشكلات في ارتفاع درجة الحرارة وتغير المناخ وذوبان الجليد، والتلوث والأمراض الناجمة عنه، وهي مشكلات بيئية ذات علاقة بالتطور العلمي والتقني الذي عرفته الإنسانية، وبطريقة الحياة للإنسان المعاصر.

ونظرا لخطورة المشكلات البيئية تصدر الأمم المتحدة بيانات دورية تكشف فيها عن تطور هذه المشكلات بالأرقام، وهي أرقام مرعبة تتطلب التفكير العميق لإيقاف التدهور الذي تعرفه الطبيعة، ومن هذه الأرقام:

-تفقد الأرض سنويا أكثر من 7،4 مليون هكتار سنويا من الغابات، أي أكبر من مساحة الدانمارك.

- يصب ما يقرب من 80% من مياه الصرف الصحي في العالم في محيطاتنا وأنهارنا دون معالجة[16].

-سجلت حرارة المحيطات مستويات قياسية، فقد أثرت درجات الحرارة المرتفعة وحرائق الغابات والفيضانات فضلا عن موسم الأعاصير الذي سجل رقما قياسيا في المحيط الأطلسي على ملايين الأشخاص[17].

ولقد انعقدت مؤتمرات عالمية عديدة للنظر في أسباب المشكلات البيئية، وللبحث عما يمكن أن يوقف التدهور، ومن هذه المؤتمرات:

-مؤتمر ستوكهولم بالسويد 1972.

-مؤتمر تبليسي عام 1977.

-مؤتمر ريودي جانيرو عام 1992.

ولما كانت المشكلات البيئية لا تهدد الوجود الإنساني فقط، وإنما كل الكائنات الحية، فقد أثار ذلك الفكر الإنساني للبحث عن أسبابها لأجل الحفاظ على إمكانية الحياة على كوكب الأرض.

وما يلاحظ في الأسباب المقدمة أنها تعكس الرؤية الكونية التي يحملها كل مفكر، وكيفية بنائه لسلم القيم، ولذلك نجد بينهم اتفاقا واختلافا حول بعض الأسباب.

ففي الحضارة الغربية السائدة، تُعتبر الطبيعة "ملكية حصرية للإنسان، وهو حر في أن يتعامل معها كما يشاء"[18]، "فعلاقته بالطبيعة ليست موضوعا للاستهجان الخلقي"[19]، وما يُعد لا أخلاقيا في التعامل مع الطبيعة يتمثل فقط فيما تتعدى أضراره إلى الناس، أما الإضرار بالكائنات المختلفة، فلا يُقيم أخلاقيا، ولكن تحت تأثير الأزمة البيئية ظهرت دعوات في الفلسفة الغربية تحمّل الإنسان مسؤولية ما حل بالبيئة من تدهور، وتدعوه إلى ضبط علاقته معها بما يمكن أن ينقذ كوكب الأرض، وتنبه إلى أن المشكلات البيئية ناتجة عن نزعة التصنيع المتزايد في كل مكان في العالم، والإسراف في الاستهلاك، والنمو الديمغرافي الكبير الذي تعرفه الإنسانية[20].

إلا أن هذا الاستيقاظ الأخلاقي يصطدم بما سطرته الحضارة الغربية من أهداف للحياة؛ إذ جعلت من "رفع مستوى المعيشة هدفا للحياة"، وجعلت من "التقدم الاقتصادي كبير أصنام العصور الحديثة"[21]، ولذلك نجد المفكرين الليبراليين يحاولون توجيه الأسباب التي يكشف عنها الواقع وتفسيرها بما يتوافق والتصور الليبرالي للحياة، فيعتبرون العامل الديمغرافي السبب الرئيسي لتدهور البيئة، ويقترحون وجوب العمل

على استقرار عدد السكان، بتشجيع" برامج تنظيم الولادات بما في ذلك جعل موانع الحمل متاحة بحرية لكل من يرغب في استعمالها"[22].

أما العاملان الآخران، فيبدو أن قيمتهما ثانوية، وهو ما يظهر من الدعوة إلى ضرورة تحسين معايير العيش المادية تلبية لحاجات سكان العالم الثالث، بحجة أنه "من غير الواقعي وغير المنصف توقع أن تتحول بلدان العالم الثالث إلى حماية منظوماتها البيئية البرية على حساب الحاجات الضرورية لسكانها البشر"[23]، فلنتخيل ما الذي يمكن أن يترتب إذا طبقت بلدان العالم الثالث النموذج الغربي في التنمية وفي الاستهلاك؟ وهل تلبية الحاجات الطبيعية للإنسان يستلزم بالضرورة الإضرار بالبيئة الطبيعية؟

ويبدو أن المقاربة التي يقدمها الفكر الليبرالي قائمة على جعل الرفاهية هي مقياس النمو والتقدم، وبالتالي وجوب المحافظة على النمط المعيشي القائم على الاستهلاك والتصنيع، وهذا النمط المعيشي يرتبط بالمسار الاقتصادي الحالي...."الذي يفقر الملايين من الناس ويدمر المجتمعات ويتلف مئات الآلاف من الأقاليم الحيوية ويفاقم أزمة بيئية عالمية"[24].

ويتفق المفكرون الإسلاميون مع تشخيص غيرهم لمشكلة البيئة؛ فالإنسان هو المسؤول عما حدث في الطبيعة نتيجة إيثاره لمصالحه ورغباته في تحقيق الرفاهية والربح المادي والتقدم الصناعي على حساب البيئة[25].

إلا أن السبب الحقيقي للمشكلة –في نظر هؤلاء المفكرين–لا يتمثل في إشباع الإنسان لحاجاته الطبيعية، وإنما في تجاوزها إلى حاجات مصطنعة تصنعها الشركات الكبرى باستعمال الدعاية لحث الناس على استهلاك كل ما هو جديد، حتى وإن كان هذا الجديد يمكن الاستغناء عنه، وهو ما يعبر عنه بالمصطلح القرآني: الإسراف والتبذير[26].

ولما كان "سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا، يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه، ويعقم بعقمه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره"[27]، أي أن السلوك الإنساني مرتبط بالتصور الذي يحمله صاحبه للإنسان والطبيعة والحياة والعلاقة بينها. –لما كان الأمر كذلك–فتوجه الإنسان المعاصر لإشباع حاجاته الطبيعية والمصطنعة بإسراف لا يمكن فصله عن الرؤية السائدة في الحضارة الغربية نحو الطبيعة، وعلاقة الإنسان بها.

وعلى هذا الأساس، أرجع الفاروقي ما حلَّ بالبيئة من تلويث للموارد الطبيعية ونهب للثروة الأرضية واختلال للتوازن البيئي إلى ما يأتي:

–اعتبار الرغبات الإنسانية هي الغاية من الوجود الإنساني، ولذلك وُجهت كافة طاقات الإنسان لإشباع هذه الرغبات.

–عدم إخضاع علاقة الإنسان بالطبيعة لميزان أخلاقي يحفظ مصلحة الإنسان دون أن يَلحق الضرر بمكونات الطبيعة؛ حيث يرى الفاروقي أن "تأليه الرغبات أدى إلى اغتصاب الإنسان للطبيعة، أي إلى استثمار الطبيعة وتطويع قواها لإشباع الرغبات دون وازع أخلاقي، دون معيار يعلو على الطبيعة والرغبات معا، ويخضعهما لقيمه وأوزانه"[28].

–سيطرة فكرة الصراع على الرؤية الحداثية للعالم؛ فالقوي له الحق في الاستئثار بالخيرات وتحقيق الرغبات، ولما كانت الطبيعة مذللة للإنسان بطبيعتها فالعلاقة معها هي علاقة سيطرة عليها، لا علاقة إحسان إلى مكوناتها المختلفة، يقول الفاروقي: "تأليه الرغبات و احترام الذات جعل من المجتمع الغربي مجتمع نمور لا يعتدي النمر على النمر، بل على فريسته، فكلاهما موجه إلى الفريسة بطبيعة تأليه رغباتهما، فالفريسة الأولى هي الطبيعة....فالطبيعة في نظرهم عدو ضعيف، عدو تمكنوا من افتراسه، وقد

فجرت هذه النظرة الطبيعية ينابيع المعرفة الطبيعية، فنشأت العلوم وترعرعت، ثم تفننوا في استغلال الطبيعة، وهو ما يعرف بالتقنية"[29].

والملاحظ في نقول الفاروقي تكرار كلمة " التأليه"، وفي ذلك إشارة إلى أن الرغبات صارت بمنزلة الإله؛ بمعنى أنها هي الغاية النهائية للحياة الإنسانية، والمبرر لتصرفات الإنسان المختلفة.

ويرى المفكرون الإسلاميون أن موارد الأرض كافية للإنسانية جمعاء، خلافا لما يعتقده المفكرون الماديون من محدودية الموارد الطبيعية[30]، وبذلك فالمشكلة تتمثل في "القيم التي تحكم فلسفة الإنسان وتشكل بعده الثقافي، وتقبع وراء مسالكه وتعامله مع الطبيعة والآخر...مشكلة الأثرة، وسوء التوزيع، وغياب التكامل"[31]. ودليلهم في ذلك القرآن الكريم ودراسات الخبراء:

أ-ففي القرآن الكريم: يقول الله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[32].

فنعم الله عز وجل أكبر وأكثر من أن يحصيها فريق من البشر، أو كل البشر[33]، ولذلك فمشكلة الفقر، سببها الإنسان نفسه سواء بظلمه من حيث سوء توزيع الثروة، أو بكفرانه النعمة، من حيث إهمال استثمار الطبيعة وعدم استغلاله جميع المصادر التي تفضل الله بها عليه استغلالا سليما[34].

ب-الأرقام التي يوردها الخبراء، والتي تدل على كفاية الموارد، وتلبيتها جميع الحاجات الإنسانية بشرط "البعد عن الإسراف"، ومن هذه الأرقام:

-استطاعة كوكب الأرض إطعام 47بليون نسمة بالمستويات الممتازة الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية و157 بليون نسمة بمستويات التغذية في اليابان.

–امتلاك 6% من الشعب الفرنسي ل50 % من الثروة، وامتلاك 5% من الأمريكيين ل 90% من الثروة مما يدل على سوء التوزيع والظلم الاجتماعي[35] من جهة، وعلى إسراف طبقة اجتماعية في الاستهلاك على حساب عموم الناس.

– استهلاك الدول الغنية ثلثي الطاقة والغذاء في العالم، وتعدادها لا يتجاوز ثلث تعداد العالم[36].

وهذه بعض الإحصاءات التي تؤشر على فرط الاستهلاك، الذي يتجاوز حاجات الإنسان المعقولة:

–تستهلك الأمم الصناعية ثلثي صلب العالم، وأكثر من ثلثي إنتاج الألمنيوم العالمي، وكذلك الحال بالنسبة للنحاس والرصاص والنيكل والقصدير والزنك.

– في أمريكا وحدها تهمل 180 مليون ماكينة حلاقة، وكمية من الألمنيوم تكفي لبناء ثمانية آلاف طائرة ضخمة سنويا، كما يهمل اليابانيون 30 مليون آلة تصوير كل سنة [37]، وتهمل في فرنسا كل سنة 750 ألف سيارة و500 ألف متر مكعب من الأجهزة المنزلية العاطلة[38]، وهذا الإسراف في الاستهلاك يؤثر على الموارد البيئية سلبا، ويفاقم من مشكلة النفايات.

–بلغ حجم ما استهلكه الأمريكيون في المائة سنة الماضية (أي في القرن العشرين)، ما يساوي كل ما استهلكه الجنس البشري عبر تاريخه[39].

ولقد اعتمدت البلدان المتقدمة تقنيا، ثلاثة أنواع من الاستراتيجيات، لتوسيع حجم الاستهلاك، وهي:

–إيجاد احتياجات جديدة وتنشيط الرغبة في تلبيتها باستخدام الدعاية، حيث تزايد الإنفاق على صناعة الإعلان من 39بليون دولار في عام1950، إلى 237بليون دولار عام1990.

– فتح أسواق تصدير جديدة.

-خفض مدة بقاء السلع، بخفض مستوى المواد المستخدمة إما من حيث الكم أو من حيث الكيف[40].

وكان لهذه الموجة الاستهلاكية نتائجها الوخيمة على البيئة، فقد أثرت سلبا على الموارد الطبيعية من غابات وتربة وماء وهواء، وأساءت إلى المناخ العام للأرض، فالمواطن الأمريكي يدمر حاليا في المتوسط مائة ضعف ما يدمره الهندي من موارده الطبيعية[41].

وبناء على ما سبق، فمشكلة البيئة تتمثل في العلاقة القائمة بين الإنسان المعاصر والطبيعة، وحل المشكلة يبدأ من إعادة النظر في هذه العلاقة، وتوجيهها نحو ما يحقق مصلحة الإنسانية، ويحفظ للبيئة توازنها.

5-مقاربات الفكر الإسلامي المعاصر لمشكلة البيئة: لما كانت المشكلات البيئية غير ناجمة عن الانحراف السلوكي فقط، وإنما عن التصور السائد في الحضارة الغربية الحديثة للطبيعة، ولعلاقة الإنسان بها، فقد توجه الفكر الإسلامي المعاصر لبيان ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان وبيئته، مؤسسا سلوك الإنسان على هذه العلاقة.

وينطلق الفكر الإسلامي المعاصر في استمداد تصوراته وتوجيهاته من الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، لكونه المصدر الأساسي لتوجهاته وبناء تصوراته، ولاعتقاده أنه يحمل قيما إنسانية سامية ضابطة لعلاقات الإنسان مع غيره من الموجودات دون تحيز، فهي وحي من الله تعالى، وفي ذلك -يقول الربيع ميمون-:"لن تبلغ الإنسانية رشدها إلا إذا رجعت إلى القرآن الكريم لتسترشد علومه وتوجيهاته، وإلى السنة النبوية لتتبين علاقتها العضوية بكتاب الله، وكونها التطبيق الصحيح لما ترمي إليه تعاليمه من الارتقاء بالإنسانية إلى قمة مكارم الأخلاق أي إلى قمة كمالها"[42].

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوص عديدة تتعلق بالبيئة، متضمنة التصور الإسلامي للطبيعة ومكوناتها، وموجهة نحو السلوك المتوافق مع طبيعة الإنسان المحقق لمصلحته، وغير الملحق للضرر بالموجودات المختلفة.

-يقول الله تعالى:﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف: 03)، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم41)، ﴿وَأَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود61)

- وعن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها"[43].

- وعن عمرو بن الشريد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قتل عصفورا عبثا عج[44] إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة"[45].

-عن ابن عمر -رضي الله عنه-عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"[46].

-عن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار "، والقطع المتوعد فيه هو الذي يكون بلا سبب موجب له[47].

ولما كانت المشاكل البيئية المستجدة لم تكن معروفة في زمن نزول الوحي، يقوم العلماء بتطبيق المبادئ العامة، وبقياسها على المشاكل القديمة؛ فاستنادا إلى فتاوى العلماء السابقين القاضية بمنع كل ما يحدث للناس ضررا كالدخان والإنتان والقذارات وكل ريح مؤذ، يُحكم بمنع التلوث بالغازات السامة وبالأشعة النووية من باب الأولى، لخطورة الملوثات الحديثة وضررها الكبير على صحة الإنسان والحيوان والنبات[48].

وعلى أساس الوحي والقياس، يقرر الفكر الإسلامي المبادئ الآتية للسلوك الإنساني اتجاه البيئة:

المبدأ الأول: مبدأ الحكمة: ويُستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر85)

والحق: إجراء أحوال المخلوقات على نظام ملائم للحكمة والمناسبة في الخير والشر، والكمال والنقص، والسمو والخفض، في كل نوع بما يليق بماهيته وحقيقته وما يصلحه، وما يصلح هو له، بحسب ما يقتضيه النظام العام، لا بحسب الأميال والشهوات"[49].

ويترتب على هذا المبدأ ما يأتي:

أ-ضرورة مراعاة التوازن الدقيق الذي خُلق عليه الكون، ولذلك "تنص تعاليم الدين الإسلامي الحنيف على الاهتمام بالبيئة بكل صورها والإبقاء عليها في حالة طبيعية متوازنة حتى تستمر الفائدة من ورائها ويعم النفع جميع سكان الأرض"[50]، ومن هذه التعاليم ما ورد من نهي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-عن قتل الكلاب والعصافير لما في ذلك من تأثير سلبي على التوازن البيئي، تنعكس آثاره على العالم الطبيعي برمته.

ويقرر الإعلان الإسلامي للتنمية المستدامة أنه: "لا يحل إحداث أي تغيير جوهري في عناصر نظام البيئة يخل بتوازنها"[51].

ويُستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان2)، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (الحجر19).

ويؤكد علم الإيكولوجيا أن "الاعتماد المتبادل بين جميع الأشياء الحية هو نظام موحد عضويا يشكل توازنه واستقراره الشروط الضرورية لتحقيق خير مجتمعاته الحيوية المكونة له"[52].

ب–كل شيء مخلوق لحكمة معينة، وله وظيفة محددة، بحيث يختل التوازن البيئي إذا أخلت بعض الأشياء بوظيفتها سواء بإرادتها كما عند الإنسان، أو بالانقراض بالنسبة للكائنات الأخرى فلا شيء مخلوق عبثا، ومعنى ذلك أن لكل كائن قيمته الذاتية.

المبدأ الثاني: مبدأ الاعتدال في الاستهلاك والنهي عن الإسراف: المستنبط من قوله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ (الأعراف31)، فالعلاقة بين الإنسان وبيئته لا تقتصر فقط على العلاقة الاقتصادية، وإنما تتضمن إضافة إلى الامتيازات التي يستحقها الإنسان بحكم تبوئه أعلى السلسلة الهرمية الغذائية للكائنات، واجبات اتجاه هذه الكائنات؛ فالإنسان خليفة في الأرض، والاستخلاف يقتضي المحافظة على النظام البيئي، ونشر الخير والصلاح، وحفظ النعم من التبذير.

ويقتضي ما أُلقي على الإنسان من واجبات عدم تجاوز حاجاته الطبيعية في الاستهلاك.

ومما يدعو إلى ترسيخ هذا السلوك، نَصُّ القرآن الكريم على أن البيئة كائن حي[53]، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء:44).

وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–كما يتضح من النصوص الحديثية الآنفة الذكر، وغيرها يعامل –ويدعو–إلى احترام الكائنات المختلفة، وأداء واجب رعايتها والمحافظة عليها.

واعتبر عبد المجيد النجار –بعد استقراء نصوص الوحي–أن حفظ البيئة من التلف والتلوث وفرط الاستهلاك مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، لأن الإخلال بالنظام البيئي يؤثر في وظيفة الإنسان سلبا، –ولذلك اهتمت النصوص–"بتأسيس ثقافة بيئية تعصم التصرف الإنساني من الاعتداء على المحيط الطبيعي بالفساد في أي وضع كان فيه، وفي أي مستوى حضاري وصل إليه"[54].

المبدأ الثالث: مراعاة نواميس وقوانين الطبيعة: أي العمل وفق ما يتلاءم مع السنن الكونية، والطبائع التي خلق الله تعالى عليها الكائنات المختلفة؛ فلقد دلت بعض التجارب على خطورة التصرف بما يتعارض مع القوانين التي خلق الله عليها الطبيعة؛ فتسمين البقر بالبروتينات الحيوانية أدى إلى جنون البقر، ومخالفة سنة الزواج أدت إلى السيدا والأمراض الجنسية، وقطع الأشجار وإتلاف الغابات تسبب في ارتفاع درجة حرارة الكرة الأرضية، مما أدى إلى الجفاف والتصحر والفيضانات.

"فللأرض نواميس وقوانين، وقواعد وضوابط، التقيد بها والوقوف عند حدودها والانضباط لها واجب على كل من يعيش على ظهرها، إن أراد النجاة لنفسه وللبيئة... وأهم تلك الضوابط الإمساك عن إتيان أي سلوك من شأنه أن يفضي إلى الفساد والإفساد فيها""[55]، حتى وإن كان هذا السلوك يحقق مصلحةً ما للإنسان، عملا بالقاعدة الأصولية: دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة.

6-الأساس الفلسفي لأخلاقيات البيئة في الفكر الإسلامي المعاصر: بناء على ما سبق، يتبين لنا أن الفكر الإسلامي ينطلق من قواعد ومبادئ عامة متميزة تمثل مرجعيته المعيارية لتحديد الموقف الصحيح والسلوك المستقيم الذي ينبغي سلوكه اتجاه مكونات الطبيعة، وتتضمن هذه المرجعية ثلاثة عناصر، يمكن إجمالها في الآتي:

أ-**المصلحة:** وهي الغاية المراد تحقيقها بالتصرفات المشروعة في الشريعة الإسلامية، وتتمثل هذه الغاية في "تحقيق الإنسان ما فيه خيره وصلاحه بتحقيق غاية وجوده وهي الخلافة في الأرض"[56]، والوصول إلى هذا الهدف يتطلب "عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل والعمل"[57].

وتتضمن هذه الغاية ضرورة مراعاة منفعة الإنسان بالمحافظة على البيئة سليمة مما يُلحق به الضرر في جسمه أو عقله أو نفسه، وفي الوقت نفسه مراعاة ما ينفع الكائنات المختلفة لارتباط مصلحة الإنسان بمصلحة هذه الكائنات.

فالرؤية الإسلامية تؤكد أن عناصر الطبيعة كلها جوهرية لا يمكن الاستغناء عنها، تشترك مع الإنسان في وحدة الأصل، وتساهم –كل حسب طبيعته–في المحافظة على التوازن البيئي، وبالتالي فهي تستحق الحياة كما يستحقها الإنسان، ولا يجوز استهلاكها إلا عند الحاجة، ولا يجوز قتلها إلا عند الضرورة، والاعتداء عليها ليس اعتداء على كائن يستحق الوجود كما يستحقه غيره فقط، وإنما اعتداء على كل الكائنات، بما فيها الإنسان لما يترتب على الاعتداء من ضرر على التوازن البيئي.

وبذلك، فالمصلحة التي هي المعيار المقيّم والمقوّم للأفعال الإنسانية اتجاه البيئة تنبني على اعتبار كل الموجودات لها قيمة ذاتية، وأن وجودها ليس عبثيا.

وما يطرحه الفكر الغربي من مبررات للمحافظة على البيئة[58]؛ هي مبررات جزئية، لا تشمل كل ما ينبغي القيام به للمحافظة على البيئة، فالبيئة ليست الإنسان فقط، ولا الحيوانات فقط، وإنما كل المخلوقات بما فيها من جمادات وسنن كونية وطبائع الأشياء.

وتحيلنا هذه المقارنة إلى المبدأ الليبرالي الذي ينص على أن: "الفرد يجب أن يكون قادرا على أن يفعل ما يشاء، بشرط: –ألا يؤذ الآخرين، –وأنه من غير المحتمل أن يؤذ نفسه على نحو يتعذر إدراكه".

ففي إطار الرؤية الإسلامية يتطلب هذا المبدأ إدخال ثلاثة قيود عليه حتى يكون الفرد نافعا لنفسه ولغيره من الناس والكائنات المختلفة، فأول هذه القيود تتعلق "بجواز فعل الفرد ما يشاء"، إذ ينبغي أن يُضاف إليه: إذا كان يحقق مصلحته ومصلحة غيره، وثاني القيود يتعلق بلفظ "الآخرين"، إذ يجب تعميمه ليشمل كل الكائنات لا الإنسان

فقط، أما ثالث القيود فيتمثل في ضرورة الاسترشاد بالوحي حتى لا يؤذ الفرد نفسه ولا غيره.

فلقد أثبتت التجربة الإنسانية أن العديد من الأفعال التي تباح ليبراليا، لما يبدو فيها من منافع يمكن جنيها في الحاضر، إلا أنها في حقيقتها مضرة للفاعل ولغيره، ولكن الإنسان لا يتفطن لضررها إلا بعد زمن قد يطول وقد يقصر.

ولا فعل يمكن التمثيل به، كالأفعال التي أتى بها العقلاء ظانّين أنها تحقق رفاهيتهم، وتلبي حاجاتهم المادية، ولكنها أدت بعد زمن إلى وقوعهم في ضرر يصعب تداركه؛ ومن هذه الأفعال: استنزاف الثروة الغابية العالمية طلبا لمادة الخشب، واستصلاحا للأراضي بغرض زيادة الإنتاج الزراعي، ولم يكن هؤلاء يدرون أنه بفعلهم هذا يسببون: الاحتباس الحراري والجفاف والتصحر...، وهي أضرار كبيرة على الإنسانية والطبيعة على حد سواء[59].

ومما يقتضيه مبدأ المصلحة أنه ينبغي للإنسان قبل أن يتصرف أن ينظر في مآلات تصرفه ونتائج أفعاله آخذا بعين الاعتبار ما يمكن أن يترتب من أضرار ومنافع، موازنا بينهما لتقرير ما إذا كان فعله يجوز أو لا يجوز، وفي هذا الصدد يورد عبد المجيد النجار مثالين:

المثال الأول: يتعلق بقطع أشجار الغابات بغرض صناعة الخشب لتوفير ما يحتاج إليه الناس من هذه المادة، فإذا كان هذا التصرف يؤدي إلى الإضرار بالتوازن البيئي من مثل نقص فادح في الأمطار التي تجلبها هذه الغابات، وانقراض الحيوانات التي تسكنها، فالمصلحة تقتضي منع هذا السلوك (أي قطع الأشجار) لأن ضرره يشمل الإنسانية بأكملها، أما مادة الخشب فلا ينتفع بها إلا قلة من الناس.

المثال الثاني: يتعلق بحكم قتل الحيوانات البرية لما تكون مهددة للحيوانات الأهلية في سنوات الجفاف، فالفقيه ينبغي أن يرجح حكم المنع، لأن قتلها يؤدي إلى خلل دائم

في التوازن البيئي، ولا يمكن تعويضه، أما تلف بعض الحيوانات البرية، فيمكن الاحتياط لئلا يقع، وإذا وقع يمكن تعويضه[60].

ويتضح من هذين المثالين، ومما سبق عرضه أن المصلحة بمفهومها الشامل والدقيق هي المعيار الذي يحدد ما ينبغي فعله مما لا ينبغي.

ب–دور العقل: وبناء على ما سبق، يجب طرح السؤال الآتي: هل من الصواب بناء الخلق الإنساني على المعرفة الإنسانية النسبية والقاصرة عن الإحاطة بكل المعطيات المتعلقة بالوجود الإنساني، حاضرا ومستقبلا، والجاهلة بكل أبعاد العلاقة بين الإنسان والطبيعة؟

فلقد أثبت التاريخ الإنساني أن الإنسان قد يدرك مآلات الفعل في الحاضر، ولكنه يجهل ما سيؤول إليه الأمر مستقبلا، ولذلك يجني الأضرار من عدد من الأفعال بعد زمن من ممارستها والارتياح لها، وهذا ما يعني أن العقل الإنساني ، "لا يكاد يوصلنا إلا إلى معرفة كليات الأشياء دون جزئياته، نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق وقول الصدق وتعاطي الجميل، وحسن استعمال العدالة وملازمة العفة ونحو ذلك، من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء، والشرع يعرف كليات الأشياء، ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيء...، فلا يعرفنا العقل مثلا أن لحم الخنزير والدم والخمر محرّم...، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدّال على مصالح الدنيا والآخرة"[61].

ومما ينبغي ملاحظته في هذا الإطار، أن الأحكام التي يصدرها الوحي متعلقة بمصلحة الناس، ويُراعى فيها كل الأبعاد: الزمنية (الحاضر والمستقبل)–الفردية والاجتماعية– المادية والروحية– البعد الاستهلاكي والبعد الجمالي... . [62].

ولقد تجسدت هذه المبادئ الموجهة والمقومة للسلوك في المنظومة الفقهية الإسلامية التي تبين ما يجوز وما لا يجوز من الأفعال الإنسانية ذات العلاقة بالطبيعة، وهذه أمثلة على ذلك:

-الحث على تقليل الماء عند الوضوء حتى وإن كان المتوضئ عند نهر جار، تربيةً للمؤمن على ترشيد استهلاكه.

-وجوب الإحسان للكائنات المختلفة.

-عدم جواز قتل الحيوانات إلا إذا كان ضررها محققا بالإنسان.

-الحث على التشجير.

ج-التكامل بين عناصر الكون: لما كانت البيئة مسخرة للإنسان[63]، وكان لكل عنصر وظيفة محددة، وكانت مصلحة الإنسان متوقفة على مراعاة السنن الكونية، واستهلاك خيراتها باعتدال، وجب على الإنسان المستأمن على الطبيعة[64]، الممنوح القدرةَ على فعل الخير والشر تجنب فعل كل ما يضر الطبيعة عاجلا أو آجلا.

ولا شك أن هذا المنهج الذي يقرره الإسلام، يقتضي إعادة النظر في العلاقة السائدة في إطار الحضارة الغربية الحديثة بين الإنسان والطبيعة.

فإذا كانت العلاقة في الحضارة الحديثة قائمة على الصراع والسيطرة والقوة لإخضاع الطبيعة، فإنها في إطار الرؤية الإسلامية قائمة على التكامل، تدعو الإنسان -باعتباره الخليفة في الأرض-إلى المحافظة على الكائنات المختلفة المشتركة معه في المخلوقية لله تعالى، وتنمية الطبيعة بما يعود عليه وعليها بالنفع.

وإذا كانت العلاقة السائدة بين الإنسان المعاصر والطبيعة تركز على الانتفاع المادي من خيرات الطبيعة، فإنها في إطار ما يقرره الوحي لا تقتصر على الجانب المادي، وإنما هي وسيلة لإشباع كل العناصر المكونة للإنسان: الروحية والمعرفية

والجمالية...، وفي الوقت نفسه أداء ما يجب عليه اتجاه جميع المخلوقات، محافظة على خلق الله تعالى، وعملا بما تقتضيه الحكمة.

خاتمة: نستخلص من هذا التحليل لدراسات الفكر الإسلامي المعاصر لأخلاقيات البيئة جملة من النقاط، نوجزها في الآتي:

1-مشكلة البيئة ناجمة عن اختلال العلاقة بين الإنسان المعاصر وبيئته، إذ تقوم على الصراع والإسراف في استهلاك الموارد الطبيعية، عوض قيامها على التكامل والاعتدال في استغلال مواردها.

2-المعيار الموجه والمقوم لسلوك الإنسان اتجاه الطبيعة في الفكر الإسلامي المعاصر يتمثل في المصلحة؛ فعلى أساس هذا المعيار يُحدد ما هو أخلاقي مما ليس كذلك.

3-علاقة الإنسان بالطبيعة لا تقتصر على الاستفادة من خيراتها، بل تتعداها إلى وجوب المحافظة على توازنها وتنميتها بما يعود بالنفع على كل الكائنات.

4-إذا كانت الطبيعة مسخرة للإنسان، فهذا لا ينفي امتلاك كل عنصر فيها قيمة ذاتية، ولذلك لا يجوز التعدي عليه.

ومما ينبغي التأكيد عليه في خاتمة هذه الدراسة، ضرورة الانفتاح على كل الثقافات – ومنها الثقافة الإسلامية-، وفتح حوار بينها للبحث عن أفضل السبل لمواجهة الأزمة البيئية العالمية؛ فالأزمة البيئية وليدة رؤية ثقافية سائدة، وتجاوزها يقتضي استثمار ما تقدمه الرؤى الثقافية المختلفة من عناصر إيجابية تساهم في أخلقة العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

قائمة المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم.

2) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، طبعة خاصة.

3) أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي والجليل السندي، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، بدون طبعة.

4) أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002، ط1.

5) إسماعيل راجي الفاروقي، تحن والغرب، الزيتونة، باتنة، دون تاريخ، دون طبعة.

6) بايرد كاليكوت، مقدمة الباب الأول: الأخلاق البيئية، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

7) بول و. تايلور، أخلاقيات احترام الطبيعة، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

8) توم ريغان، حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

9) جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 1994.

10) جورج سيشنز، المركزية الإيكولوجية البرية وحماية المنظومة البيئية العالمية، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

11) جيمس أوكونور، الاشتراكية والإيكولوجيا، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

12) حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، بلا تاريخ ط1.

13) خالد احمد مصطفى حجر، أخلاقيات البحث الانتروبولوجي، المرامي والعقبات ومتطلبات الالتزام الفعال، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، المجلد الأول، العدد الثاني، يوليو 2009.

14) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، دون طبعة.

15) الربيع ميمون، السنة النبوية الشريفة كمثل أعلى للإنسانية الكاملة وتعليم أخلاقها، في: كتاب الأصالة، ملتقى السنة النبوية الشريفة: محاضرات ومناقشات الفكر الإسلامي السادس عشر، الجزء3، تلمسان، 27 يوليو، 3 أغسطس 1982.

16) رجب سعد السيد، كل هذا الاستهلاك، في: مجموعة من الكتاب، كتاب العربي: دمار البيئة.دمار الإنسان، الناشر: مجلة العربي، 2002، ط1.

17) ريتشارد سيلفان(رتلي)، هل هناك حاجة إلى أخلاق جديدة بيئية؟، في: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل

زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

18) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، 2003، ط32.

19) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984، دون طبعة، ج8، القسم2.

20) طلال محمد المومني، جماية البيئة من منظور إسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد:02، 2006.

21) طه عبد الرحمان، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1.

22) طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ط1.

23) عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1966، ط2.

24) عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ط2.

25) عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد: فقه التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998، ط3.

26) عمار الطالبي، عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ج1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بالاشتراك مع دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ط1.

27) عمر عبيد حسنة، مقالات في التفكير المقصدي–رؤية في إطار معرفة الوحي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1999، ط1.

28) فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، عمان، 2015، ط2.

29) محمد أحمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، دون طبعة.

30) محمد شوقي الفنجري، نحو اقتصاد إسلامي، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1981، ط1.

31) مصطفى بن حمزة، الإسلام والبيئة، منشورات المجلس الإسلامي العلمي الأعلى، الرباط، 2016، ط1.

32) معين شفيق رومية في مقدمته لكتاب: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006.

33) وهبة الزحيلي، أصول االفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1986، ط1.

المواقع الالكترونية:

1) المنظمة العالمية للأرصاد الجوية/حالة المناخ العالمي 2020. نشر في: 2ديسمبر 2020 public.wmo.int

2) محمد محمد الشلش، رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة (دراسة في الواقع الفلسطيني). ينظر: www.repository.najah.edu نشر في: 10–2009.

3) عنوان التقرير: السلامة والكرامة والمساواة على كوكب الأرضun.org/ar/global_issues/climate change بلا تاريخ.

4) الإعلان الإسلامي للتنمية المستدامة: التنمية البيئية، المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة المنعقد في جدة في الفترة من 29ربيع الأول إلى فاتح ربيع الثاني 1423 الموافق ل10-12من يونيو2002م khair.ws library منشور في:01-2017.

الـهوامـش والإحالات:

---

[1]-خالد احمد مصطفى حجر، أخلاقيات البحث الانتروبولوجي، المرامي والعقبات ومتطلبات الالتزام الفعال، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، المجلد الأول، العدد الثاني، يوليو2009، ص: 24.

[2]-طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ط1، ص: 14.

[3]-يعرف طه عبد الرحمان المثل الأعلى بأنه: "تصور ما يكون أفضل وأكمل وأولى للإنسان أن يتبعه في سلوكه، حتى يخرج من حاله ويرتقي بها درجة". طه عبد الرحمان، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1، ص: 112.

[4]- فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، عمان، 2015، ط2، ص:44-45.

[5]-طلال محمد المومني، جماية البيئة من منظور إسلامي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد:02، 2006، ص: 190.

[6]-عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ط2، ص: 207.

[7]-ينظر: محمد محمد الشلش، رؤية الشريعة الإسلامية ومنهجها في الحفاظ على البيئة (دراسة في الواقع الفلسطيني)، ص: 156.

ينظر: www.repository.najah.edu نشر في: 10-2009.

[8]–عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1966، ط2، ص: 17.

[9]–الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،1984، دون طبعة، ج8، القسم2، ص: 220.

[10]– معين شفيق رومية في مقدمته لكتاب: الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، العدد:332، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2006، ص: 107.

[11]– محمد محمد الشلش، المرجع نفسه، ص: 155.

[12]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[13]–محمد أحمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2011، دون طبعة، ص:17

[14]– حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، بلا تاريخ ط1، ص:09

[15]–حسن الترابي، المرجع نفسه، ص:09.

[16] www.un.org.climate change.

[17]–المنظمة العالمية للأرصاد الجوية/حالة المناخ العالمي 2020. نشر في: 2ديسمبر 2020 public.wmo.int

[18]ريتشارد سيلفان(رتلي)، هل هناك حاجة إلى أخلاق جديدة بيئية؟، في: الفلسفة البيئية، المرجع نفسه، ص:43.

[19]–المرجع نفسه، ص:41.

[20]–جورج سيشنز، المركزية الإيكولوجية البرية وحماية المنظومة البيئية العالمية، في الفلسفة البيئية، مرجع سابق، ص:348.

[21]جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 1994، ص:32.

[22]–جورج سيشنز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[23]–جورج سيشنز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[24]– جيمس أوكونور، الاشتراكية والإيكولوجيا، في: الفلسفة البيئية، ج2، العدد 333، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 2006، ص: 219.

[25]–محمد محمد الشلش، المرجع نفسه، ص:153.

[26]–عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، المرجع نفسه، ص:102.

[27]– عمار الطالبي، عبد الحميد بن باديس: حياته وآثاره، ج1، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بالاشتراك مع دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ط1، ص 269.

[28]–إسماعيل راجي الفاروقي، تحن والغرب، الزيتونة، باتنة، دون تاريخ، دون طبعة، ص:11.

[29]–المرجع نفسه، ص:09.

[30]–محمد شوقي الفنجري، نحو اقتصاد إسلامي، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع، الرياض، 1981، ط1ص: 64.

[31]–عمر عبيد حسنة، مقالات في التفكير المقصدي–رؤية في إطار معرفة الوحي–، المكتب الإسلامي، بيروت، 1999، ط1، ص: 120.

[32]– إبراهيم: 32-34.

[33]– سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الرابع، دار الشروق، القاهرة، 2003، ط32، ص: 2108.

[34]– محمد شوقي الفنجري، مرجع سابق، ص: 65-66.

[35]–عمر عبيد حسنة، المرجع نفسه، ص:122.

[36]–عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، المرجع نفسه، ص:139.

[37]– رجب سعد السيد، كل هذا الاستهلاك، في: مجموعة من الكتاب، كتاب العربي: دمار البيئة.دمار الإنسان، الناشر: مجلة العربي، 2002، ط1، ص: 96-97.

[38]– جان ماري بيلت، المرجع نفسه، ص:46.

[39]– عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد: فقه التحيز، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1998، ط3، ص: 90.

[40]– جان ماري بيلت، المرجع نفسه، ص:41-42-98.

[41]– جان ماري بيلت، مرجع سابق، ص: 47.

[42]–الربيع ميمون، السنة النبوية الشريفة كمثل أعلى للإنسانية الكاملة وتعليم أخلاقها، في: كتاب الأصالة، ملتقى السنة النبوية الشريفة: محاضرات ومناقشات الفكر الإسلامي السادس عشر، الجزء3، تلمسان، 27 يوليو، 3 أغسطس 1982، ص: 17.

[43]– رواه أبو داود في سننه، باب (في اتخاذ الكلب للصيد وغيره)، رقم (2845)، ج4، ص467. قال شعيب الأرناؤوط محقق سنن أبي داود:"إسناد الحديث صحيح". المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[44]–عج يعِج عجيجا: صوت مرة بعد أخرى. محمد بن أبي بكر الرازي، مرجع سابق، ص37؛ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وبحاشيته الإمام الجليل السندي، ص239.

[45]– رواه النسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، ج7، ص239.

[46]– رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب (خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم) رقم (3318)، ص: 815.

[47]– ينظر شرح شعيب الأرناؤوط للحديث في سنن أبي داود، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[48]–مصطفى بن حمزة، الإسلام والبيئة، منشورات المجلس الإسلامي العلمي الأعلى، الرباط، 2016، ط1، ص:92.

[49]–الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، مرجع سابق، ص:75.

[50]–طلال محمد المومني، المرجع نفسه، ص:198.

[51]–الإعلان الإسلامي للتنمية المستدامة: التنمية البيئية، المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة المنعقد في جدة في الفترة من 29ربيع الأول إلى فاتح ربيع الثاني1423 الموافق ل10-12من يونيو2002م.

[52]–بول و. تايلور، أخلاقيات احترام الطبيعة، في: الفلسفة البيئية، مرجع سابق، ص:114.

[53]–محمد محمد الشلش، مرجع سابق، ص:153.

[54]–عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ط2، ص:211.

[55]–مصطفى بن حمزة، مرجع سابق، ص: 07.

[56]–عبد المجيد النجار، المرجع نفسه، ص:17.

[57]–المرجع نفسه، ص:41.

[58]– يعلل كانط وجوب الامتناع عن القسوة على الحيوانات بعلة تربوية، ففي نظره القسوة على الحيوانات يؤدي إلى تعود القسوة، وبالتالي القسوة على البشر، وعللها آخر بالاحساسية (القدرة على اختبار اللذة والألم)، وآخر بمبدأ الحياة.

ينظر: توم ريغان، حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان، في الفلسفة البيئية، المرجع نفسه، ص:74.

بايرد كاليكوت، مقدمة الباب الأول: الأخلاق البيئية، في: الفلسفة البيئية، المرجع نفسه، ص:30-32.

[59]–هناك أفعال عديدة مباحة ليبيراليا، يُعتقد أنها غير مضرة بالآخرين، وهي في الواقع مضرة لهم في الآجل؛ مثل: الزنى ففي القانون إذا تم برضا الطرفين فلا تترتب عليه عقوبة، وإذا كان أحد الطرفين متزوجا، فالعقوبة تسقط بعفو الزوج، ولكن إذا درسناه دراسة عميقة تبين أن أضراره أكبر من أن تحصى، كاختلاط الأنساب، الأمراض الجنسية، الانحلال الخلقي...، وهي كلها أضرار قد تمس الفاعل، ولكنها تمس المجتمع بكل تأكيد.

[60]–عبد المجيد النجار، المرجع نفسه، ص:263-266.

[61]–الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1983، دون طبعة، ص:74.

[62]–وهبة الزحيلي، أصول االفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1986، ط1، ص:152–153.

يقول الزحيلي: يقسم الشرع أفعال الناس إلى قسمين:"ماهو من حق الله تعالى، وهو ما يتعلق به النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد فينسب إلى الله تعالى، لعظم خطره، وشمول نفعه: أي أنه هو حق للمجتمع، وشرع حكمه للمصلحة العامة، لا لمصلحة فرد خاص، فهو حق متعلق بالنظام العام دون مراعاة أفراد. والمراد بحق العبد: ما يتعلق به مصلحة خاصة كحرمة مال الغير...، ويكون المُراعى في الحقين: هو مصالح العباد عامة أو خاصة، وليس فيها شيء روعي فيه جانب الله".

[63]–يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: 29).

[64]– يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:72).